الشعر الموجه للأطفال

مفهوم الشعر الموجه للأطفال

الشعر الموجه للأطفال هو الشعر الذي يكتبه الشعراء خصيصا للصغار، وينطبق عليه ما ينطبق على شعر الكبار من تعريفات ومفاهيم، غير أنه يختص في مخاطبة الأطفال وهم بحكم سنهم يختلفون عن الكبار في الفهم والتلقي.

النص الشعري الموجه للأطفال : نشأته وتطوره[1]

الطفولة في التراث العربي القديم

يتفق أغلب الدارسين على أن أدب الأطفال حديث النشأة "فليس في تراثنا الأدبي ما يمكن أن نطلق عليه "أدب أطفال"، وما ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، وغيرهما من الأدب الشعبي إلا أقاصيص وحكايات خاصة بالكبار، تناقلها الناس لما فيها من أخيلة جامحة".[2]

فأدب الأطفال بخصائصه المعروفة "لم يظهر في العالم إلا في القرن السابع عشر فهو إذن أدب مستحدث في أوربا وهي مشرفة على عصر التطور والتقدم، ومثل الكثير من الفنون الأدبية فإن فن أدب الطفولة ظهر في اللغة العربية نتيجة الاحتكاك والمحاكاة لما ظهر في الغرب شأنه شأن القصة والمسرحية وغيرهما".[3]

ووجود (أغاني المهد) أو (أشعار ترقيص الأطفال عند العرب) لا يعني وجود أدب الطفل، فهذه موجودة في كل الآداب "وفي هذا المجال لا يبدو الأدب العربي القديم بدعا بين الآداب العالمية لخلوه من أدب الأطفال، فكل الآداب –بلا استثناء– لم تعرف شيئا من ذلك الأدب إلا في حدود القرنين أو الثلاثة القرون الماضية التي أعقبت عصر النهوض والتنوير في أوربا الحديثة".[4]

---

(1) ينظر العيد جلولي النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر

(2) هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال: فلسفته –فنونه –وسائطه، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1987، ص103.

(3) محمد العروسي المطوي، "الطفل في الأدب العربي"، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1976 ، ص661.

(4) عبد العزيز المقالح، "الطفل في الأدب العربي"، المرجع نفسه، ص692.

والمهتمون بالدراسات الأدبية يدركون أن أدب الكبار قد استأثر بأقلام الأدباء وجهود المدونين على درب المسيرة الطويلة من تاريخ الأدب ولم يلتفتوا إلى أدب الأطفال لا تأليفا ولا تدوينا، ولم يدخل أطفالنا عالم الأدب المكتوب إلا في العشرينات من هذا القرن.[5]

ومع هذا يذهب بعض الباحثين إلى أن لهذا الأدب وجودا في تراثنا العربي القديم ويسوقون نصوصا من "شعر الترقيص" وبعض الأراجيز، والمقطوعات الشعرية الخفيفة. لتكون هذه النصوص شواهد على وجود هذا الأدب في تراثنا القديم، ويربط هؤلاء أدب الأطفال بالفولكلور، كما يربطونه بالأمومة "فحيثما توجد أمومة وطفولة آدمية يوجد بالضرورة أدب الأطفال بقصصه وحكاياته وترانيمه وأغنياته وأساطيره وفكاهاته لا يخرج على هذا القانون الطبيعي لغة ولا يشذ عنه جنس".[6]

غير أن المتفحص لهذه النصوص، والمتمعن في موضوعاتها لا يمكنه قبولها كشواهد على وجود هذا الأدب في تراثنا، فهذه النصوص لا تمثل أدب الأطفال بمفهومه الحديث و لا يمكنها أن تشكل حتى اتجاها صغيرا داخل هذا الأدب، لأنها لا تخاطب الطفل مباشرة، ولا تسبر أغوار نفسه، ولا تنطلق من اهتماماته، بقدر ما يعتبرها نصوصا تكشف عطف الآباء على أبنائهم، واهتمامهم برعايتهم، وتربيتهم، والعناية بهم من نواح متعددة.

ولهذا كله يمكن اعتبار هذه النصوص جذورا لهذا الأدب وبداية طيبة للالتفات إلى الأطفال، ولا شك أن البداية تكون بمثل هذه النصوص المتضمنة العطف على الأطفال وتربيتهم والعناية بهم وتلقينهم المعارف، ثم تأتي مرحلة التفكير في إنشاء أدب خاص بهم، وهذه المرحلة تأخرت عندنا وعند غيرنا قرونا طويلة حتى جاء العصر الحديث فكانت الانطلاقة الجادة لهذا الأدب.

---

(5) ينظر علي الحديدي، في أدب الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط3، 1983، ص06.

(6) علي الحديدي، في أدب الأطفال، ص39. وينظر أيضا:

- أحمد زلط، أدب الطفل العربي، ص30.
- اسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال، ص11.
- فوزي عيسى، أدب الأطفال، ص11.

وإذا عدنا إلى تراثنا العربي القديم فإننا نجد نصوصا كثيرة تدل على اهتمام العرب بالطفولة، وإدراكهم لأهميتها وأثرها البالغ في تكوين شخصية الإنسان، ففي كتب اللغة والأدب والأخبار صور عن هذا الاهتمام، ويمكن تصنيف هذا الاهتمام حسب الموضوعات التالية:

أ- التأليف في موضوع الطفولة.

ب- أشعار الترقيص وأغاني المهد.

ج- أشعار العطف والحنان والرعاية.

د- شعر المراثي الخاص بالأطفال.

هـ - الشعر التعليمي.

و- وجود نصوص كثيرة من الألغاز والأحاجي والحكايات والأساطير التي يمكن أن تكون مادة صالحة لاستلهام أدب خاص بالأطفال.

أ-التأليف في موضوع الطفولة: ألف العرب في مجال تربية الأطفال والعناية بهم كتبا كثيرة، ووضعوا في هذا المجال مصنفات عديدة وهي تدل دلالة واضحة على مدى اهتمامهم بهذا الكائن الصغير، ومن هذه الكتب كتاب "أيها الولد" للإمام الغزالي، و"تأديب الناشئين بأدب الدين والدنيا" لابن عبد ربه، و"تذكرة الآباء" لابن العديم الحلبي، و"العيال" للحافظ ابن أبي الدنيا، و"سياسة الصبيان وتدبيرهم" لابن الجزار القيرواني، و"اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم" لزكريا الأنصاري، و"أنباء نجباء الأبناء" لابن ظفر المغربي المكي، و"تدبير الحبالى والأطفال والصبيان" للبلدي أحمد، و"جامع أحكام الصغار" لمحمد بن محمد الأسروشي، و"تحفة المودود بأحكام المولود" لابن القيم الجوزية، و"جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان" لأحمد بن أبي جمعة المغراوي، و"آداب المعلمين" لمحمد بن سحنون، و"الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين" للقابسي.

ب-أشعار الترقيص وأغاني المهد: وتعرف هذه النصوص في التراث العربي بشعر الترقيص أو أغاني المهد، وهذا النوع من الشعر يكثر في كل اللغات وينتشر على وجه الخصوص في اللهجات العامية، ويهتم بدراسته أيضا دارسو الألحان الفولكلورية.[7]

وتعود نشأة أغاني الترقيص إلى دوافع عديدة أهمها ميل الإنسان إلى الغناء أثناء قيامه بالعمل، فالأم تغني حين تهدهد طفلها، ويلجأ الإنسان إلى الغناء للتعبير عن مشاعره والترويح عن نفسه وشحذ همته لبذل نشاط أكبر، ومن دوافعه أيضا التوسل به لتنويم الطفل أو مداعبته وتدليله وترقيصه أو مشاركته في اللعب، أو أثناء تعليمه السير.[8]

ج-أشعار العطف والحنان والرعاية: ويستطيع الباحث في الأدب العربي القديم أن يجمع نصوصا كثيرة تدور حول هذا الموضوع، كقول مالك بن الطوق:

وما بي خوف أن أموت وأنني لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم وأكبادهم من خشية تتفتت
كأني أراهم حين أنعى إليهم وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فإن عشت عاشوا خافضين بغبطة أذود الردى عنهم وإن مت موتوا[9]

أو قول حطان بن المعلى الطائي:

لولا بنيات كزغب القطا حططن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض
إن هبت الريح على بعضهم لامتنعت العين عن الغمض[10]

أو قول أمية بن أبي الصلت في ولد:

---

(7) سنتناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل في الفصل الأول من الباب الثاني.

(8) ينظر سعيد بن عمر بن محمد باداود، أدب الطفل العربي، دار سعاد الصباح ، الكويت ، 2003 ، ص59.

(9) ينظر عبد العزيز المقالح ، "الطفل في الأدب العربي"، ص691.

(10) ابن عبد ربه ، العقد الفريد، تحقيق احمد أمين وأمين الزين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1983 ، ج1، ص438.

غدوتك مولودا وعلتك يافعا تعل بما أدني إليك وتنهل
إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت لشكواك إلا ساهرًا أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها لتعلم أن الموت حتم مؤجل[11]

أو قول مالك بن الريب في ابنته التي أشار إليها في أكثر من موضع في شعره وصور تعلقها بصور عاطفية دقيقة، فعندما خرج مع سعيد بن العاص تعلقت بثوبه وبكت وقالت له: "أخشى أن يطول سفرك أو تحول الموت بيننا فلا نلتقي" فبكى وأنشأ يقول:

لقد قلت لابنتي وهي تبكي بدخيل الهموم قلبا كئيبا
وهي تذري من الدموع على الخدين من لوعة الفراق غروبا
عبرات يكدن يجرحن ما حزن به أو يدعن فيه ندوبا
حذر الحتف أن يصيب أباها ويلاقي في غير أهل شعوبا
اسكتي قد حززت بالدمع قلبي طالما حز دمعكن القلوبا
فعسى الله أن يدافع عني ريب ما تحذرين حتى أؤوبا[12]

د-شعر المراثي الخاص بالأطفال: وهو شعر يعبر من خلاله الشعراء على حزنهم ولوعتهم على فراق فلذات أكبادهم أو أطفال غيرهم وفي الشعر العربي القديم أمثلة كثيرة عن هذا اللون من الرثاء كقول أبي ذؤيب الهذلي في رثاء أولاده:

فأجبتها: أما لجسمي إنه أودى بني من البلاد، فودعوا
أودى بني، فأعقبوني حسرة بعد الرقاد، وعبرة ما تقلع
فالعين بعدهم كأن جفونها سُملت لشوك فهي عور تدمع[13]

---

(11) ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق وشرح سميح جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998،ص180، وينظر الهامش حيث تنسب الأبيات إلى يحي بن سعيد بن عمران الأعمى.

(12) ينظر عادل جاسم البياتي، "الطفولة ومشاهدها المتغيرة في التراث والأدب"، مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد04، 1979، ص40.

(13) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، تحقيق خليل شرف الدين، ج2، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2، 1991، ص183.

أو قول أبي العتاهية في رثاء ابنه:

بكيتك يا بني بدمع عيني فلم يغن البكاء عليك شيا

وكانت في حياتك لي عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيّا[14]

هـ-الشعر التعليمي: وهو كثير ومن أمثلته ما قام به كل من أبان اللاحقي وابن الهبارية والأسد بن مماتي عندما نظموا كتاب (كليلة ودمنة) شعرا، ويدخل في الشعر التعليمي تلك المنظومات الشعرية في الفقه واللغة والنحو، كألفية ابن مالك في النحو وأرجوزة أبي الحسن الأنصاري الجياني في الكيمياء.

و-الألغاز والأحاجي والحكايات والأساطير: وتراثنا القديم غني بهذه المادة القصصية كحكايات ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة وحي بن يقظان وفي كتب التراث مادة خصبة من حكايات الجن والخرافة والشياطين وقصص الحيوان وكذلك الأساطير وكتب الأمثال والحكم والأحاجي والألغاز وغيرها.

وخلاصة القول إنه وجد في تراثنا القديم رصيد ضخم من الأشعار والقصص والحكايات والأخبار التي يشكل الطفل محورها ، ولكنها كانت إنتاجا أدبيا يتحدث عن الطفل ولم يكن يتحدث إلى الطفل أو يكتب له خصيصا.

---

(14) ديوان أبي العتاهية، دار صادر ، بيروت، 1998، ص492.